

الست هدى

المحتويات

٧

٩

٣٥

٦١

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

تمهيد

- زمن الرواية: سنة ١٨٩٠ م.
- مكان الرواية: حي الحنفي، القاهرة.
- أشخاص الرواية:

الست هدى.

الست زينب: صديقتها.

خديجة: من فتيات الجيران.

أسماء: من فتيات الجيران.

بهية: من فتيات الجيران.

إقبال: من فتيات الجيران.

عبد المنعم المحامي: زوج الست هدى.

حلمي: كاتبه.

السيد العجيزي: من أعيان الريف وزوج آخر للست هدى.

محمد: من أصدقاء السيد العجيزي.

أحمد: من أصدقاء السيد العجيزي.

عامر: من أصدقاء السيد العجيزي.

الشيخ الحلبي: من أصدقاء السيد العجيزي.

الست هدى

مصطفى النشاشقي: من أصدقاء السيد العجيزي.

أماز: أغا.

رضوان: خادم.

سلمان: مُراب.

الفصل الأول

(في دار صغيرة مؤلفة من: «مندرة» في الطبقة السفلى، ومن سلم يُصعد منه إلى قاعة صغيرة، وثلاث حجرات، والمنزل مطلٌّ على مسجد «أبي الليف» بحيّ «السيدة زينب».)

(الست «هدى» وجارتها «زينب» في إحدى الحجرات.)

الست هدى:

كيفَ يا أختِ أنتِ؟ ...

زينب:

... .. نحن برغِدٍ

كُلُّنا ما بقيتِ أنتِ برغِدٍ

الست هدى:

أنتِ يا «زينبُ» الوفيّةُ بالعهدِ

زينب:

وَلِمَ لَا أَفِي وَخَيْرِكَ عِنْدِي؟
خَيْرِ جَوَارٍ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ وَوَدَّ

نحن من أربعين عاماً على

الست هدى:

... .. رين! — بل العهد لا يزيد على العش

زينب:

... حَلِّي حِسَابَهُ، لَا تَعُدِّي

الست هدى:

... .. لكِ هذا الدُّبُوس

اسمعي، اسمعي يا صديقي

زينب:

... .. لي أنا؟

الست هدى:

... .. بَعْدِي
وَأَنْصَفْتُ فِي الْوَصِيَّةِ جُهْدِي

أنا أعطيتُ كلَّ صاحبةٍ شيئاً
ما يقولُ الجيرانُ «زينبُ» عني؟

زينب:

اتْرُكِيهِمْ، لَا تَحْفَلِي بِالرَّدِّ

الست هدى:

حديثٌ زواجي أو حديثٌ طلاقي
وإنِّي واريْتُ الترابَ رفاقي
تزوجْتُ، لكن كان ذاكِ بمالي
تولَّى رجالَ جئنني برجالِ
وما أكثرَ خطابي!
أذلاءً إلى بابي
لستُ أسلُو حَيَاتِيَه
«مصطفى» كان ساريَه
نخلة «المَرَج» ماشيَه
لم يكن يطلبُ مالي
وهي جنونٌ للرجالِ
م له يوماً ببالِ
كِ سوى قبضِ الإجاره
جنةُ الخلدِ قَراره
وكان عمري عشرينَ عاماً
من ذا يرى فعلتي حراماً؟!

يقولون في أمري الكثيرَ وشغلهم
يقولون إنني قد تزوجتُ تسعةً
وما أنا «عزيرلٌ» وليسَ بمالهم
وتلكِ فدائيني الثلاثونَ كلِّما
فما أكثرَ عُشاقِي
ولولا المالُ ما جاءوا
لستُ ما عشتُ ناسيه
أول البختِ «مصطفى»
حينَ يمشي تظنُّه
رحمةُ الله عليه
تلكِ «أبعاديَّتِي»
لم تكن تخطر في العا
لم يكن يعنيه من ذا
جعل الله تعالى
ماتَ فكدتُ أموتَ حزناً
ثم تزوجتُ بعدَ خمسِ

زينب:

حتى تصيبي منهمُ البينا

أجل، تعيشينَ وتدفنيننا

الست هدى:

ولم يكنِ يصلحُ لي
يا ليَّتني لم أقبل!
واخترتُه لماله
وقعتُ في حباله

وزوجي الثاني «علي»
يا ليَّتني
ذاك لمالي اختارني
ما كان إلا مُفلساً

يرحمه الله، وكان ذا بَخْرٍ وكان إن يقعدُ وإن يَقمَ نَحْرُ
 وإن مشى تخرجُ أصواتُ أُخْرُ
 يرحمه الله لقد عشنا معا من السنين الصاخباتِ أربعا
 ثم مضى لربِّه لا رجعا
 رحمةُ الله عليه جُنَّ بالنسل جُنونا
 ثم لَمَّا مَاتَ مَا خَلَّفَ لي إِلا دُيُونَا
 وماتَ لم تبكِه عُيوني وكان عُمرِي عشرينَ عَامَا
 ثم تزوجتُ سِوَاهُ مَنْ ذا يرى فعلتي حَرَامَا؟!

زينب:

أجل، تعيشين وتدفنينا حتى تصيبي منهمُ البئينا

الست هدى:

ولستُ أنسى زوجيَ الرابعَا لا نافعًا كان ولا شافعَا
 قالوا أديبٌ لم يروا مثله ولقبوه الكاتبَ البارعا
 قد زينوه لي، فاخترته ما اخترتُ إلا عاطلاً ضائعَا
 رائحٌ أكثَرَ الزمَا ن على الصُّحفِ مُغتدي
 يكتب اليومَ في «اللوا» وغدًا في «المؤيدِ»
 ليلاه أو نهازه فارغَ الجيبِ واليدِ
 ويعجبني عند المباحةِ قوله بنيتُ فلانًا أو هدمتُ فلانَا
 وقد يُصبحُ المبنيُّ أوضعَ منزلًا وقد يصبحُ المهذومُ أرفعَ شانَا
 رحمةُ الله عليه كان لا يحقرَ مالا
 كان إن أفلسَ لا يسألني إلا ريالَا
 ثم تزوجتُ بيوزباشي «قمر» نهى كما شاء هَواه وأمرُ
 لقد وددتُ أنه زوجُ العُمُر لقد وددتُ أنه زوجُ العُمُر
 لا عفا الله عنه، لا غفرَ اللهُ له، لا ارتقى لرتبةِ «صاغِ»

لم يُرُدني لكن أراد «مَصَاعي»
أبيعُ أو أرهنُ أطياني
لا أشتري جيشًا بفدانٍ
وفاكِهتي ورِيحاني ورَاحي
ويحلمُ بالقلادة والوشاح
يجيءُ البيتَ في ضوءِ الصباح
يُقامِر بالنُجوم وبالسُّلاح
وكان عُمرِي عشرين عامًا
من ذا يرى فِعَلتي حرامًا!؟

لا عفاً الله عنه، قد كان لصًا
وطالما زَيْنَ لي أنني
من أجل «يوزباشي»؟ لقد ضلَّ، لا
لحاهُ الله كان مُنى فؤادي
وكنْتُ أحبُّه ويحبُّ طيني
وكان مُقامِرًا شَرِيبَ حَمَرٍ
يكادُ إذا تورَّطَ في قِمَارٍ
عشنا ثلاثًا ثم افترقنا
طلَّقني فالتمستُ زوجًا

زينب:

حتى تصيبي منهمُ البينا

أجل، تعيشينَ وتَدْفِنينا

الست هدى:

ثم تزوجتُ بالموظفِ
ما كان أبهى! ما كان أظرفُ!
ومن نسيمِ الربيعِ أطفُ!
أجيبُه أم قفاهُ أنظفُ!
في جيبه غيرَ قِطعتي ذهبُ!
كانت على الرفِّ من وفاةِ أبي
ولم أُضيقُ عليه في رَجَبٍ
كان «جَحَّاخًا» كبيرًا
ستَ رثيسًا أو وزيرًا
كما كان صغيرًا
كان مشغولًا بِطيني
أو بسمسارٍ يجيني

وعشتُ عامين دون زوج
لم أنسهُ مُنذ ماتَ يومًا
كان خفيًّا وكان حُلُوًّا
ما كنت أدري إذ تولَّى
يرحمه الله مات ما وجدوا
وسُبحجةً من خزانتي سُرقت
وسَعَتْ في دَفنه ومأتمه
رحمةُ الله عليه
كل يوم يدعُ البيدِ
ثم لا يرجعُ إلي إلا
رحمةُ الله عليه
كلُّ يوم بزبونٍ

وفدايِنِي عِنْدِي هي في الحفظِ كَدِينِي
ما كان في وِجْنَتِي يُقْبَلُنِي بل هُمُّهُ في يَدِي يَقْبَلُهَا
وعَيْنُهُ في حَوَاتِمِي أَبَدًا يُحَدِّثُ النَفْسَ كَيْفَ يَنْشَلُهَا!
ثم اقترنْتُ بِفَقِيهِ عالمٍ في البَلَدِ
لا في الشيوخِ القَدَمَا ولا الشيوخِ الجُدُدِ
كهلُّ أخو خمسينَ لـ كن في نَشَاطِ الأَمْرَدِ

زينب:

عَرَفْتُهُ، ذاكَ الفَقِيهِ هُ «الشَيْخُ عَبْدُ الصَّمَدِ»
قد كانَ في «الخُطِّ» وجيدٍ هَا وَمُقْبَلِ اليَدِ
وكل من مَرَّ به خَاطَبَهُ بِسَيِّدِي!

الست هدى:

يرحمه الله لقد أدبني حتى عرفتُ كيف تخضعُ النُّسَا!

زينب:

أنتِ؟

الست هدى:

... أجل! أدبني بيده ورجله وبالْعَصَا

زينب:

كيف؟ متى؟

الست هدى:

ولم أكن أعلم من أين أتى؟
 من كنت منها تنظرين يا ترى؟
 وشمر الذيل وجرّد العَصَا
 سدّ الشبَابيك وسَمّر الكَوَى
 يا حبّذا الزوجُ الغيورُ حبّذا!
 من ظنّ في قلبي لغيره هوى
 سَحْرِي ونَحْرِي بعدما صَلَّى الضحى
 بدت عليه علة ولا اشتكى
 فمُه يذكرُ «أبعاديّتي»
 لم يُقلّب عينه في «صيغتي»
 ما حلّ عقدة كيسه
 ر مالِه وفُلوْسِه
 هناك «جراية» وهُنا «جرايه»!
 لا ر ما يملأ حاره!
 هم فنال الطّفْل باره!
 م وكان عمري عشرين عامًا
 من ذا يرى فعلتي حرامًا؟!

رأى غبارًا عالقًا بجبهتي
 فقال: هذا التربُّ من نافذة
 وهاج حتى خفت أن يقتلني
 وجاء بالنّجار من ساعتِه
 فقلت: يهواني وتلك غيرُة
 وقبله لم أر من غار ولا
 يرحمه الله لقد مات على
 مات ولم يرقُد له جنُب ولا
 رحمة الله عليه لم يكن
 وإذا ما جاءني أو جئتُه
 لكنه مُنذُ كنا
 يفضّل الأكل من غير
 كأنّ الأزهر المعمور بيتي
 خلف الشيخ من الأو
 قُسمت ثروته في
 عشت مع الشيخ نصفَ عا
 ومات فاخترني سواه

زينب:

حتى تصيبي منهمُ البينا

أجل تعيشين وتدفنيننا

الست هدى:

من جاء بيتي يخطبُ؟!

أتذكرين بعده

زينب:

مَنْ ذَاكَ مَنْ؟

الست هدى:

... .. أَنْتِ الَّتِي جِئْتِ بِهِ يَا زَيْنَبُ!

زينب:

«مهدي» المقاول الثري الممتملي مِنَ الذَّهَبِ

الست هدى:

قد ذَهَبَ اللهُ بِهِ
لم ينس أن يذكر «أبعاديّتي»
ولم يكن عند الطعام يسْتَجِي
يرحمه الله وإن
عشتُ اثنتين معه
لو لم يمت لمتُ من
كأنّما تسرّبت
يدبُّ كالحلُوفِ في
وما استرختُ ليلةً
ومن تلالٍ جيّره
ظلمتُ عامين في بلاءٍ
ومات «مهدي» فاعتصتُ عنه
أجل، إلى النارِ ذهبُ
ما للغبيّ، ولطيني ما له؟!
يأكل مالي ويعدُّ ماله!
لم أرَ لَوْنَ قَرشُهُ
لم أنتفعُ بفَرشُهُ
جَحَّتْهُ وَفَشَّهُ
عمارةً في كَرشُهُ
خُرُوجِهِ مِنْ قَشِّهِ
من طَحْنِهِ وَدَشَّهُ
ومن جِبَالٍ «دبَّشُهُ»
وكان عُمرِي عشرين عامًا
من ذا يرى فَعَلْتِي حَرَامًا!؟

زينب:

أجل تعيشينَ وتَدْفِنِينَا حتى تصيبي مِنْهُمُ البِنِينَا

الست هدى:

ثم اقترنْتُ بِمُحَامٍ عَاطِلٍ شَرَّيبٌ خَمْرٌ يَحْتَسِيهَا فِي الضُّحَى
قَلْتُ دَعَاوِيَهُ وَقَلُّ مَالُهُ وَأَصْبَحَ الْمَكْتَبُ مِنْهُ قَدْ خَلَا!

عبد المنعم المحامي (زوج الست هدى، وهو سكران، يصعد السلم):

هدى، ضلالٌ، أين أنتِ يا هدى؟
أين العجوزُ؟ أين جدتي هدى؟

الست هدى:

وَ نَكِدَا «زَيْنَب» وَ دَاهِيَتَا لَقَدْ أَتَى لَا أُدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى!
يَشْتَمُ فِي السُّلْمِ

زَيْنَب:

... .. خَلِيهِ دَعِي

لا تَفْرُضِيهِ غَيْرَ سَكْرَانَ هَدَى!

الست هدى:

رَأَيْتُهُ،
... .. وَكَيْفَ؟

زَيْنَب:

... .. مَنْ تَحَتُّ وَقَدْ كَانَ مِنَ السَّقْفِ أَطْلًا وَانْحَنِى
وَكَانَتْ الْحَارَةُ مَنَّا امْتَلَأَتْ فَأَرْسَلَ الْقِيَاءَ عَلَيْنَا وَرَمَى!

الست هدى:

القيء؟ ماذا قلت؟

زينب:

... .. قلت ما رأث عيني وما مرَّ على رأسي وما

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هدى، عجوز النَّحْس، أنت قردهٌ خطوطكِ الوحلُ وكُحلكِ العمى

الست هدى:

سمعتِ يا زينب؟ ...

زينب:

... .. خلَّيه، دعي لا تفرِّضيه غير سكران هدى
ومرَّةً جاء «أبا الليف» ضحى
أذن في الناس يُصلُّون العشا
فضيحةٌ في الخطِّ ...

الست هدى:

... .. وا فضيحتا!

زينب:

ما شهدوا في «الحنفي» مثلها

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هَدَى تَعَالَى يَا عَتِيقَةَ اظْهَرِي عِنْدِي لَكَ النَّعْلُ وَهَذِهِ الْعَصَا

الست هدى:

سَمِعْتِ يَا زَيْنَبُ؟ ...

زينب:

... خَلِيَه، دَعِي لَا تُفَرِّضِيهِ غَيْرَ سَكَرَانَ هَدَى

الست هدى:

دَعِيهِ يَهْدِي مَا يَشَاءُ غَدًا تَرَيْنِ زَيْنَبُ
فَفِي غَدٍ لِي وَلَهُ شَأْنٌ، غَدًا يُؤَدَّبُ

زينب:

مَا الَّذِي عَزَمْتِ يَا حَبِيبَتِي أَنْ تَصْنَعِي؟

الست هدى:

أَقْذِفُ فِي الْقَسَمِ بِهِ وَأَشْتَكِي وَأَدَّعِي
إِنَّ رِجَالَ الْقَسَمِ، وَالنَّأَى ثَبَّ وَالْقَاضِي مَعِي!

(لزوجها)

لَتَنْدَمَنَّ يَا لُكْعُ يَا مَنْ يَقُومُ وَيَقَعُ

عبد المنعم (وهو بالسلم):

أَأَنْتِ بَوْمَتِي هُنَا؟ مَاذَا سَمِعْتِ؟ صَوْتَهَا؟
أُرِيكِ مَنْ أَنَا؟ الْآنَ جُمَيْرَةَ «الْخَطُّ»

زينب:

هُدَى، حَبِيبَتِي اسْمَعِي تَعَالِيْ اهرُبِي مَعِي!

الست هدى:

أَنَا؟

زينب:

... اسْمَعِي، دَعِيهِ، ...

الست هدى:

... .. لا

زينب:

دَعِيهِ يَا هُدَى، دَعِي لَا تُغْضِبِيهِ إِنَّهُ
مُؤْتَلَى، لَيْسَ يَعِي!

عبد المنعم (وهو بالسلم):

هُدَى! هُدَى! أَيْنَ هُدَى؟ أَيْنَ الْعَجُوزُ الْبَالِيَةَ؟
أَيْنَ مَضَيْتِ بَوْمَتِي؟ أَيْنَ زَهَبْتِ خُفَّتِي؟
خَدَاكِ ضَفْدَعَتَانِ قَدْ أَسْنَتَا وَأَذْنَاكِ عَقْرَبَانِ مِنْ قَنَا

الفصل الأول

وحاجبَاكَ وَالْخَطُوطُ فِيهِمَا كدودتين اكتظتا من الدِّمَا
وبينَ عَيْنَيْكَ نِفَارٌ وَجَفَا عَيْنٌ هُنَاكَ خَاصَمْتُ عَيْنًا هُنَا!

الست هدى:

دَعِينِي أَقْطَعُ عَلَيْهِ الْحَذَاءَ وَأَجْزِ الْوَقَاحَ عَلَى ذَنْبِهِ
دَعِينِي أَضْرِبُهُ حَتَّى يُفِيقَ فَلَا بَدَّ زَيْنَبُ مِنْ ضَرْبِهِ!

زينب:

قد جاء، هَيَّا نَتَقِي جنونَه وهوسَه
ففي يمينه العصا وفي الشمال المكنسَه

الست هدى:

سكرانٌ يضربُ إذن لنهربُ هلمَّ زينبُ
هذه حجرةٌ نومي أسرعِي زينبُ فيها
نحنُ يا زينبُ لا نك سبحُ سكرانَ سَفِيهَا

(تدخلان الحجرة وتستتران وراء الباب.)

عبد المنعم (وهو داخل يترنح):

هدى ذاتُ الفدايين هدى

الست هدى:

... ففكر في طيني

عبد المنعم:

من لي بالزيرجيد؟ من لي بالزُمُرْد؟
يا ليت ذاك في يدي!

الست هدى:

سمعت؟ عبد المنعم قد هام في خواتمي

(يجتاز «عبد المنعم» القاعة إلى حجرة نومه.)

الست هدى:

زينب انظري ما الذي صنَع

زينب:

جاء حجرة نَمَّ فاضطجع
فلندعُ في النو مِ فلندعُ
الآن أستودعك الله هدى محفُوظة

الست هدى:

... لا تُهمليني زينب!

(تخرج زينب.)

(تسمع ضجة بالسلم...)

الست هدى:

ما الصوت؟ ما أسمع؟ من يا ترى؟ ما هذه الضجة في السلم؟
هذا خُطوطي وكُحلي وتلك صبغة شعري

الفصل الأول

لم أنس حُمْرَةَ خَدِّي لم أنسَ زِينَةَ صَدْرِي
وهذا الثوبُ ما أبهى! وهذا الخُفُّ ما أحسنُ!
ومِنْدِيلِي على رَأْسِي ما أخلَى! وما أزيَنُ!
وهذه خَواتمي بها يدي مُرَصَّعَةٌ
وهذه قلائدي في لَبَّتِي مُلَمَّعَةٌ
اقترب الصوت وتلك أرجلُ تدبُّ عند البابِ، مَنْ؟

أصوات:

هل ندخلُ؟

الست هدى:

ادخلن! أهلاً وسهلاً ومرحباً بالحبائب

(تدخل أربع فتيات من بنات الجيران: «خديجة» و«أسماء» و«بهية» و«إقبال».)

خديجة:

صباح الخير يا عمه

الست هدى:

صُبِّحْتُنَّ بِالْخَيْرِ
هذا هو التفضُّلُ!

«خديجة» ابنتي هنا؟

خديجة:

إن أنا بالعمَّةِ لم أسَلْ، فَعَمَّنْ أسألُ؟

الست هدى:

أَنْتِ ابْنَتِي سَتَأْخُذِينَ - نَ خَاتَمِي الزُّمْرُودَا!

خديجة:

اليوم يا عمّة؟ ...

الست هدى:

... .. لا!

خديجة:

متى إذن متى؟! ...

الست هدى:

... .. غدا!

من بعد موتي ...

خديجة:

... لا تمو تي أنا عمّتي الفدا!

الست هدى (لأسماء):

وأنتِ يا أسماءُ إذا متُّ غدا أخذتِ هذا الخاتم الزبرجدا

أسماء:

لا كان يا عمّة عشتِ الأبدا!

إقبال:

أسماء يا عمّة مخطوبةً ...

الست هدى:

... .. لِمَنْ؟

إقبال:

لشيخ عمدة في الصعيد!

الست هدى:

حذارِ يا أسماءُ أَنْ تَقْعَلِي!

أسماء:

أنا؟ أباي يَخْتَارُ لي مَنْ يُرِيدُ!

الست هدى:

قُولِي لَهُ: العُمْدَةُ جَرَّبَتْهُ

أسماء:

أقولُ؟ مَنْ يَسْمَعُ أَوْ مَنْ يَعِي؟

إِنْ أباي صَعْبٌ وَلَا أَجْتَرِي

الست هدى:

إِذَنْ دَعِينِي أَنَا أَفْعَلُ، دَعِي!

(لبهية)

الست هدى

وأنت يا ابنتي؟

بهية:

خُطِبْتُ مِنْ زَمَنٍ

الست هدى:

مَنْ زَمَنٍ؟ تبا رَكَ اللهُ، لِمَنْ؟

بهية:

لضابطٍ في الجيش!

الست هدى:

ضابطٌ؟

بهية:

... .. أجل!

الست هدى:

أَحْسَنْتِ، أَحْسَنْتِ تَخَيَّرْتِ الرجل!

بهية:

ما اخترت يا عَمَّتِي ولكن
بناتُ مصر يُخَطَبْنَ لِكِنْ
نُبَاعُ يا عَمَّتِي ونُشْرَى
أبي وأمِّي تَخَيَّرَا لي!
لا يَتَنَاقَشَنَّ في الرجال!
ما نحن إلا عروض مال!

الست هدى (لأسماء):

وكيف أختك «بنيا»؟

أسماء:

تَقْبَلُ اليَدَ

الست هدى (لأسماء):

... .. عَشْتِ

أسماء:

مخطوبةٌ هي أيضًا!

الست هدى:

ماذا تقولين بنتي؟

أم الكبيرة أنتِ؟

مِنَ الكَبِيرَةِ؟ «بِنْبَا»

عَمْرُكَ بالتَّخْمِينِ

أسماء:

لستُ خالتي مُحَمَّنَةً

أَتَمَمْتُ عَشْرِينَ سَنَةً

في رجب الذي مضى

الست هدى:

إِذْ نَ فَمَا عُمْرِي أَنَا؟

عشرون أنت يا ابنتي

أسماء:

سُتُون يَا خَالَه؟

الست هدى:

لم أَرِ مِنْكَ أَرَعَنَا صه

أسماء:

خمسون يا سيِّدتي؟

الست هدى:

كذبتِ كذْبًا بَيْنًا

أسماء:

إذن ففي العشرين يَا خَاله أَنْتِ وَأَنَا!

الست هدى:

هذا الحديثُ عَبَثٌ
كل امرئٍ داخلها!
حُذِي بِنَا فِي غَيْرِهِ!
برزقهِ وعمرهِ

خديجة:

اسكُتِي أسماءُ خَلِي السد
هي يَا خَاله حَمَقِي
أنتِ يَا خَاله فِي وَجْدِ
لا مشيبٌ لا اصفرارٌ
نَّ مَا هَذَا الْفَضُولُ؟
لَيْسَ تَدْرِي مَا تَقُولُ!
هَكَ قَدْ خَطَّ الْقَبُولُ!
لا غَضُونُ لَا دُبُولُ!

الست هدى:

سمعت أسماء؟ علميها ما القَوْل؟

خديجة:

... .. بل أنت علمينا!

الست هدى:

صُنَّ جمالَ الوجوه صَوْنًا فالسنُّ بالوجه لا السنينا!

(يُسمع صوت خارج الحجرة.)

ما ذاك عند الباب؟ صوتُ رجلٍ؟

القادم:

سيدي

الست هدى:

... .. ادخُلِ «المازُ» ادخُلِ!

«المازُ» أعا!

الأعا:

... .. سيدي!

الست هدى:

يا مرحبًا يا مرحبًا!

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا

الست هدى:

أعدُ

الأغا:

أرسلتني حرمُ الباشا إليك

الست هدى:

هذا أغا الباشا اقتربَ ماذا وراءَ القادم؟

الأغا:

أحملُ يا سيدي تحيةَ الهوانم!

الست هدى:

بالله «ألمأز» إلا
جستَ بالقربِ مني
تُحبُّ بنيَ فجربُ
بُنَّ السرايِ وبُنِّي

(تُناولهُ قهوةً.)

ما للهوانم «ألما زُ» ليس يسألنَ عني؟

الأغنا:

نسيت يا سيدي أمس، أما كُنُّ هنا؟

الست هدى:

ومن أنا حتى تزو رني الشموس من أنا؟!

الأغنا:

واليوم يا سيدي أرسلني بالمركبة

الست هدى:

جئت إذن في طلبي؟

الأغنا:

أجل، وتحت العربة

الست هدى:

أيتهن يا أعا؟

الأغنا:

«فيكتوريا» المقله!

فِ والسُّتور المسدله!

أعياد والمواسم؟

إنشا إلى الهياتم!

ذات الرفارف الخفا

ركوبه الهانم في الـ

إلى السرايات من الـ

الست هدى (للفتيات):

الجَوَانِثِي هُنَاكَ «أَسْمَاءُ» أَنْظِرِيهِ أَنْظِرِي يَا «خَدِيجَةُ» الْفَرْجِيَّةُ
(وهي تلبس):

انظُرِي «إِقْبَالُ» مَا أَجْمَلُ هَذِي الْفَرْجِيَّةُ!
انظُرِي شَالِي «أَسْمَاءُ» كَيْفَ حَلَّى كَتْفِيَّ!
ثُمَّ انظُرَا هُنَاكَ يَا بِنْتِي فَوْقَ الْكَنْبَةِ
مِرْوَحَةٌ مِنَ النِّعَامِ بِيَدِ مُذَهَّبِهِ
وَحَلِيًّا هُنَاكَ لِي مِرْوَحَةٌ عَاجًا وَأُخْرَى كُلُّهَا مِنَ الصَّدْفِ
خَدِيجَةُ (هَمْسًا):

أَسْمَاءُ!

أَسْمَاءُ:

... .. أَخْتِي! ...

خَدِيجَةُ:

... .. أُبَيْتُ أُمِّ مَعْمَلٍ مِنَ الْمِرَاوِحِ؟!

أَسْمَاءُ:

مَا تَصْنَعِينَ خَالْتِي بِهَذِهِ الْمِرَاوِحِ؟!

الست هدى:

أَنَا - ابْنَتِي - مَوْلَعَةٌ بِهَا وَبِالزَّوَائِحِ!

الفصل الأول

ذَكَرْتَنِي «أَسْمَاءُ» لَا تَنْسَى الْـ وَرَدَّ عَلَى الرَّفِّ وَلَا الْيَاسِمِينَ

أَسْمَاءُ:

خَالَةٌ مَاذَا؟

الست هدى:

... كُلُّ شَيْءٍ عِنْدِي

أَسْمَاءُ:

أَأَنْتِ سَمْعَانُ أُمِّ الْمَاوَرِدِيِّ؟

الست هدى:

«أَسْمَاءُ» تَعَالَى انظُرِي كَيْفَ تَرَيْنِ رَجُلِيًّا؟
هَذَا الْحِذَاءُ هَلْ تُرَى يَلِيقُ لِلْفِكْتُورِيَّا؟!

أَسْمَاءُ:

خَالَةٌ لَا تُبَدِّلِي هَذَا الْحِذَاءُ «مَمْلَكَةٌ»!

الست هدى:

اللَّهُ يَا بُنَيَّتِي يَطْرُحُ فِيكَ الْبَرَكَهَ!

(لِلأَعْمَاءِ)

«أَلْمَانُ» هِيَ نَنْطَلِقُ طَالَ وَقُوفُ الْعَرَبِيَّةِ
لَا أَحَدٌ فِي الْخُطِّ إِلَّا اسْتَوْقَفْتَهُ الْعَرَبِيَّةِ

الست هدى

فحارة قائمةٌ وحارةٌ مُنقلبةٌ

الأغا:

سيدتي لا تخافي مركبتي لا تجزّ

الست هدى:

«ألماز» أنت ظريفٌ ومركباتك عزّ

(للفتيات):

قد آن أن أجيبَ دعوةَ الأغا هيّا ابنتي هيّا ألبساني

(الفتيات يشتغلن بلباسها.)

الست هدى (لخديجة وأسماء):

أنتِ ابنتي وهذه فتاتي بناتُ جاراتي وصاحباتي
إِذَا حُرِّمْتُ النسلُ هُنَّ بناتي
وكل ما فوقَ صَدْرِي وفي يدي من «مصاغ»
وكل شيءٍ ببيتِي لَكُنَّ بَعْدَ دماغِي

(ستار)

الفصل الثاني

(في قاعة الدار.)

(عبد المنعم يتناول طعام الفطور ... الست هدى.)

(عبد المنعم ينادي حلمي الكاتب وهو تحت.)

عبد المنعم:

حلمي، تعال

حلمي:

... .. سيدي!

عبد المنعم:

تعال يا ابني اصعد

(يحضر حلمي.)

تعال قربي «شلتة» تعال ها هنا اقعد

الست هدى

صُبِّحْتَ بِالْخَيْرِ أَهْلًا

حلمي:

يا صَبَّحْتَكَ السَّعَادَةَ؟

بصحةٍ وعافية!

هذا الفطور سيدي

عبد المنعم:

تعالَ جَرِّبْ هذه الصناعة

حلمي:

لقد أكلت الفول منذ ساعة

عبد المنعم:

تلك بضاعةٌ وذي بضاعة

(وهو يأكل.)

حلمي:

الفول يا سيدي لذيذٌ

عبد المنعم:

الفولُ من حارة النصارى

والعيش من مخبز الرمالي

الست هدى:

والزيت من مَعْمَل «البَدَّاري»

عبد المنعم:

البداري! ما تَلُكْ؟ لا تلك سوقُ قد سمعنا بها، ولا تلك حارهُ!

حلمي:

وليمونك يا هانم؟

الست هدى:

كالشهُد وكالسُّكْرُ

حلمي:

ومن أين به جيء؟

عبد المنعم:

من الجنَّة والكُوثر!
وخلُّ ما تسمع من دَشِّها
ولا على الأرض سوى فَرَشِها
فإنها مُمَخْرَقَةٌ
قادرةٌ أن تخلقه

الفول يا حلمي لذيذُ فكلُّ
فما على الدنيا سوى أكلها
كلُّ، كلُّ ولا تُصغِ لها
وكل شيءٍ لم يكن

الست هدى:

ما أنا بالمحامية!
زوبعةٌ في آنيهِ!

لا أيها الفاضل، لا
أثير من شقشقةٍ

حلمي:

وما ذاك يا سيدي في يديك؟

عبد المنعم:

ألذُّ من اللبِّن المَزْبَدِ

زبيب!

حلمي:

... .. على الرِّيق؟!

عبد المنعم:

... لا يا غبيُّ! على الفول! ...

حلمي:

... أفضحُ يا سيِّدي!

الست هدى:

نحن يا حلمي هلكنَّا
صار لا يكفي المحامي
أصبح المنزل حائنةً
كلَّ يَوْمٍ «جمدانه»!

زينب (لدى الباب):

العَوَافي!

الفصل الثاني

عبد المنعم:

... صوت لدى الباب

الست هدى:

هذي زينب جارتني، تعالني تعالي

(لزوجها)

خبئ الخمر أخف ما أنت فيه

عبد المنعم:

دعني دغن، ما لكُن ومالي؟

الست هدى:

ادخلي جارتني ادخلي، هيا خشي

(لزوجها)

خبئ الخمر! ...

عبد المنعم:

... .. اتركيني وحالي

الست هدى:

ادخلي زينب ادخلي لا تهابي

زينب:

مَنْ هُنَا؟ قد سمعت صوت رجال!

الست هدى:

الأفندي وسكرتير الأفندي ادخُلي، لا غريبَ زينبُ عندي

زينب:

الأفندي وتقولين ادخُلي؟

الست هدى:

ادخُلي ليس سواه ها هنا!

ما الذي تخشين يا أخت ادخُلي

زينب:

لا، دعيني! أنا لم أنس العَصَا

(زينب تنصرف مذعورة ويظهر «ألماز أغا» لدى الباب.)

ألماز أغا:

صباح الخير يا هانمُ

الست هدى:

من؟ صبَّحتَ بالخيرِ

(لزوجها)

الفصل الثاني

هذا أغا الباشا أتى وفيم جاء يا تُرى؟
ارمِ الزبيب من يدك فهو من أهل التُّقى

عبد المنعم:

لينصرف لشأنه فما له وما لنا؟

الست هدى:

ارمِ الزبيب قلت ...

عبد المنعم:

لا لا

الست هدى:

يستَهزئُ الناسُ بنا قم امضِ حلمي بالزبيب
ب، بل به أمضي أنا

(تخبئُ الزبيب، فيدخل الأغا).

الأغا:

سيديتي، عندكِ ناسٌ؟

الست هدى:

ما سوى زوجي هنا

الأغا (للزوج):

عافية يا سيدي هذا فطور أم غدا؟

عبد المنعم:

اذن تفضل، كل معي فول لذيذ يا أغا

الأغا:

بصحة يا سيدي أكلت من وقت مضي

عبد المنعم:

لا، بل ادخل يا أغا ادخل مكانا غير ذا
هذا المكان قذر خذيه تم يا هدى

الأغا:

يا حبذا المجلس لولا شغل داع لقضيت النهار ها هنا

حلمي:

وما الذي يشغلك الآن؟ ...

عبد المنعم:

... .. وما
بين السرايات هناك وهنا الأغات تنقضي أعمارهم

(همسا)

الفصل الثاني

اتركه يمضي يا غَبي فلا أريدهُ هُنا

حلمي (للأغا):

أنت ظريفٌ يا أخي

الأغا:

أنت الظريفُ لا أنا

(للمحامي)

ما اسم أخينا؟

عبد المنعم:

ذاك «حلمي» كاتبي

الأغا:

السكرتيرُ؟
والآن في حراسة الله
مَرْحَبًا يَا مَرْحَبًا

حلمي (للأغا):

انتظرُ يا سيدي!

عبد المنعم (همسًا):

دعه!

حلمي:

... .. انتظر نخرُجْ معَا

عبد المنعم:

وأين يا حلمي؟

حلمي:

أشيعُّ الأغا

الأغا:

لا سيدي بالله

حلمي:

... .. لا

الأغا:

بل ابق!

حلمي:

... .. لا!

الأغا:

لي كَلِمَة يا سيدي أقولها للهانم

عبد المنعم (مبتسمًا):

... اذهبي مع الأغا هدى

الأغا:

يا سيدي الهانمُ أحتي، لا تخف

حلمي:

انظر إليه ما أخفهُ دَمًا!

عبد المنعم:

امضي هدى هلمِّي شيعي الأغا الأختُ يا هدى تشيع الأغا
(السيدة والأغا يخرجان.)

الحمد لله على نعمته زال العنا
أشربها، فلا هدى ولا الطواشي هنا
لي ساعة ما ذاقها أنفي ولا ذاق فمي

(ويخرج الكأس من مخبئها بين قدميه.)

حتى لكدت من ظمي أشربها بقدمي
حُرمت منها ساعة وأنت كنت السببا
سبحان من لم يعطك الـ فهُم وأعطاك الغبا
الآن تأتي هدى فكن فطنًا حلمي وكن ثعلبًا وكن حذرا
إن هدى ذئبة ...

حلمي:

... .. عليّ أجلُ
سوف ترى ما أكون، سوف ترى
ما ذاك أول نصبٍ
جرّبت فيه صبّيّك

عبد المنعم:

احفظ لسانك حلمي
فمالٌ زوجي مالي
حلمي صه ها هي ذي عائدة

حلمي:

من يفتح الحديث؟ أنت أم أنا؟

عبد المنعم:

بل أنت ثم خلّ لي تمامه

حلمي:

ولم لا نقتحم النار معاً؟

(تدخل هدى.)

عبد المنعم:

هدى

الست هدى:

لقد كنت غليظاً جافياً ولم تعظّم الأغا

عبد المنعم:

قد كنتُ مشغولاً بلقمتي هدى

الست هدى:

تعاقرُ الخمرُ ضُحى!

ولو رآك لجرتُ فضيحة

عبد المنعم:

لكن مضى وما رأى

حلمي:

وكيف دارى وأتقى؟
من يديه

رأيتِ سيدي وكيف ساسه
لأجل عينيك رمى الزبيب

الست هدى:

... .. الرُّجس رمى

عبد المنعم:

سألة أن بها أن يُعتنى

الآن أصغي يا هدى مسـ

الست هدى:

وبم تريدُ أعتني؟ ...

الست هدى

عبد المنعم:

..... بمكتبي

الست هدى:

وما الذي له جرى؟

عبد المنعم:

يكاؤُ مكتبي يكون مقفلاً

الست هدى:

ما ضرني أن يقفلا؟

حلمي:

هل تتركانه سُدى؟ سيدتي المكتب «أبعادية»
غلته ألفتان كلُّ سنة

الست هدى:

وكيف ذاك؟ ومتى؟

حلمي:

بل زاد عن ذلك يا سيدتي بالأمس، من عامٍ مضى

الست هدى:

وما الذي تريدُ أن أصنعه؟

حلمي:

مُدِّي لزوجك اليدَا

الست هدى:

وكيف يا حلمي؟

حلمي:

عُ الطين أو نرهنه إلى مدى نبي —

الست هدى:

طيني أنا أبيعُه، أرهنه؟ ماذا تقول يا فتى؟

حلمي:

لقد عرضت صفقة رابحةً إن أنقذ المكتب أنقذنا الغنى

الست هدى:

حلمي تعقل!

حلمي:

... .. دعيني «المتر»^١ أغرق دينا
كنا نقيمُ دعاوى صارت تقامُ علينا

^١ أي الأستاذ المحامي.

الست هدى

في كل يوم يطلبو
ويلي عليك سيدي
غداً ترين سيدي
ن «المتر» بالمقدّم
ويلي على معلّمي!
في قفص المتّمهم

الست هدى (لنفسها):

أتسمعين يا هدى؟
غداً يقولون: هدى
ابكي هدى، اندُبي، الطُمي!
تزوجت بمجرم

حلمي:

المحامي عليه للناس دينٌ
دينه أنت تقدرين عليه
تصلحُ الحالُ حين نخلص منه
مأثنا ليرة^٢ فأدّيه عنه!

الست هدى:

أؤدي الدين يا حلمي؟
ومن أين؟

حلمي:

... .. من الطّين

الست هدى:

وماذا بعدُ يبقى لي
إذا بعثُ فدايني؟

(لنفسها)

^٢ الليرة: الجنيه.

الفصل الثاني

لولا فدايني وغلّتها
بها تزوجت وفي قطنها
ما طاف إنسان على بابي
كفنت أزواجي وخطّابي

(لحمي)

أنا أودي الدين عنه، أنا
ما تستحي يا شابُّ ما تخجل؟

حلمي:

ألسّتِ يا سيدتي زوجة
والزوج عن صاحبها تحمّل

الست هدى:

أحمل عن مُسْتَهْتِرِ يومه
وليّله سكران لا يعقل؟

(تنادي)

رضوان!

(يدخل رضوان)

رضوان:

... من؟ «ستي»؟

الست هدى (همساً):

رضوان!

رضوان:

... .. مولاتي!

الست هدى:

اذهب على الفور ادعُ صديقاتي

(يخرج رضوان.)

(عبد المنعم يتمشى مغضباً.)

عبد المنعم (لحلمي):

قد قلت يا حلمي الصواب
مكتبي الثروة مكتب الـ
اسمعي هذا هو الصدق هدى
غنى لا مكتب إلا أنا

الست هدى:

أنت؟ لأنت حانة تنقلتُ
وأنت شيء في الرجا
وأنت برميل مشى
ل ضائع وعالة على النسا

لحلمي:

سيدتي لا تشتمي
طينك قد ترجعه
سيدتي لا تغضبي
قضية في المكتب

عبد المنعم:

إني لم أخطبك يا
ولا تزوجتك يا
هدى لفرط حسنك
صغيرتي لسنك

الفصل الثاني

ولا وقعتُ في البلا ء لسوادِ عينكُ

الست هدى:

إذن لطيني بي تزوجت؟

عبد المنعم:

أجلُ لطيتك! ...

الست هدى:

وأنا يا محامي الشوم ما اخترتُك للقبح والمحياّ الديميم

عبد المنعم:

هذر بينُ وقولُ هراءُ لِمَ إذن قد قبلتني لك بعلا؟

الست هدى:

ذكر الخاطبون فضلك عندي فإذا أنت لست للفضل أهلا

عبد المنعم:

إذن دعي الزبرجدا لي ودعي الزمردا
وكل ما حلّيت من ه الكفّ والمقلدا

الست هدى:

ولم؟ قل لي: أمالُ أبيك هذا؟ أمكُ خلّفتُ هذي الحليّا؟

الست هدى

عبد المنعم:

ألسْتُ الزوجَ؟ ...

الست هدى:

... لا ما أنت زوجٌ

عبد المنعم:

فما أنا؟

الست هدى:

... بل طُفَيْلِي عَلِيًّا

عبد المنعم:

هاتي مصوغك! ...

الست هدى:

... .. لا

عبد المنعم:

... .. إذن لا بد لي من فلق رأسك!

الست هدى:

تضربيني؟ أهكذا يكون شكرُ الحسنّة؟

(وتتناول عصا.)

تضربُني أنا التي تأكل زادي من سنه

عبد المنعم:

حلمي! تقدّمْ نحوها خذِ العصا من كفها
حلمي! اختطف منها العصا

حلمي:

أما تراها كاللِّبَا ما حاجتي بخطفها؟
ة في مَثَارِ عُنْفِهَا؟

عبد المنعم:

طرُ يا جبان، وانتزع من الخبيثة العصا

حلمي:

بل الجبانُ من يُجَرُّ دُ العصا على النِّسَا
تريد أن تأخذ بالقوة منها مالها؟
فما لها لا تستميت في الدِّفاع، ما لها؟

الست هدى:

يا ويلتا وا خجلي وعاري! لي رجلٌ بأذني حمار!
أضحوكُ الجارة شغلُ الجار لم يرَ إلا طافحًا في الدار
ثيابه كُفوطه الخَمَّار تنضحُ بالليل وبالنَّهار

عبد المنعم:

أَتَسْمَعُ حَلْمِي كَلَامَ الْعَجُوزِ؟ وَمَا تَقْذِفُ الرَّمَّةَ الْبَالِيَةَ؟
أَخَذْتُ عَصَايَ لِتَأْدِيبِهَا فَجُرَّ عَصَاكَ وَقَفَّ نَاحِيَهُ

حلمي:

رَأَيْتَ رِجَالًا يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ فَشُلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ تُضْرَبُ زَيْنَبُ^٣

(تدخل زينب ثائرة وراءها نساء من الحارة.)

زينب:

مَنْ قَالَ تُضْرَبُ زَيْنَبُ؟ مَنْ قَالَهَا؟ أَنَا أُضْرَبُ؟
مَنْ قَالَ ذَلِكَ يَا هَدَى؟ لِأَرِيهِ كَيْفَ يُؤَدَّبُ؟

الست هدى:

مَا قَالَهَا كَاتِبُ الْمُحَامِي وَإِنَّمَا قَالَهَا الْمُحَامِي

زينب:

إِذْنُ هُوَ السُّكَّيرُ يَا أُخْتُ؟ ...

الست هدى:

... .. أَجَلْ

^٣ بيت قديم

زينب:

ما تستحي تقول ذاك يا رجل؟
منذ متى فارق وجهك الخجل؟

الست هدى:

دافعي زينب عني شاركييني ما أقاسي
منذ حين أوعد السك سيرُ أن يفلق راسي
إن أنا لم أعطه دُرٌّ ي ويأقوتي وماسي

زينب:

إذن دعيني هدى دعيني أنزلُ على زوجك انتقامي

عبد المنعم:

حلمي تأمل هذه عصابة من خدم البيت ومن بعض النساء
قد نظرت في البيت حتى جمعت سلاحها من ها هنا وها هنا
زحافة مكنسة مغرفة ونحن ما في يدنا غير العصا
حلمي تاهب استعد دافع

حلمي:

قف أنت، عن رأسك حام، رافع!
أسامع أنت أم غير سامع؟
انظر إلى الزحافة
تدور في لطافة
كعنق الزرافة

عبد المنعم:

وتلك؟

حلمي:

... تلك المِغْرَفَة كالعقرب المؤلِّفة

النساء (يضربن المحامي ويقلن):

اضْرِبْنَهُ حتى يَقْعُ
اضْرِبْنَهُ، خذِ يا لُكْعُ
كيف ترى؟ أين الوجع؟

عبد المنعم:

أَجْرِنِي حلمي تعالَ احمني

حلمي:

أنا؟ خَلِّني، خَلِّني أهرِبِ
فإني استقلتُ من المَكْتَبِ

عليَّ من اليوم لا تعتمد

عبد المنعم (لحلمي وهو منصرف):

قف يا جبانُ تعالَ، قلتُ ...

حلمي:

لا تنتظرني
أنت تعرضت لذا
وأنت كنت المعتدي
إني مستعِفِ
إني استقلت
ابق! خذِ الزَّبْرَجْدَا
أقم، خذِ الزُّمْرُدَا

عبد المنعم:

والأجر؟ تنساه؟

حلمي:

الأجر قد ضاع يعوِّض الله!

الست هدى:

زينب تلك صخرةٌ
بغير حسٍّ فاضربي

(تضربه)

أسمًا خديجةً اضربا رضوانُ أدبٌ أدبٍ
هذا هو الفؤل فكلُّ هذا الزبيب فاشربِ
خذ من يدي الزبرجدا خذْ من يدي الزُّمردًا
وخذ إن اسطعتَ اليدا

عبد المنعم:

حسبي هُدى، كفى كفاني ضربا قد كان هذا اليوم لي مُخبًا
سَلِّمْتُ رايتي فكُفِّي الحربا

الست هدى:

إن أنا أَخَلَصْتُكَ ماذا تصنعُ؟

عبد المنعم:

أذهب

الست هدى

الست هدى:

... ثم؟

عبد المنعم:

... أبداً لا أرجع!

الست هدى:

أخْرَجْ إِذْنٌ وَلِ الْقفا يا لُكْعُ
قف يا محامي لِي استمعْ واسمعن يا مَنْ ها هُنا
الننْذُ قد رَدَّ الطلا ق لمشيئتي أنا

(تخرج عقد زواجها.)

عصمتي منك في يدي شهدت لي الوثائقُ
امضِ يا نذُلُ لا تُعد إنك اليوم طالقُ

(ستار)

الفصل الثالث

(بحجرة بالطبقة العليا من دار المرحومة «الست هدى»، «السيد العجيزي»
من أعيان الريف وزوج المرحومة «الست هدى».)

العجيزي (لنفسه):

المال صار يا عجوز مالي وأصباح البيت وما حوى لي
من بعد عشرة من الرجال
نعم رجال كثير
كنت الموفق وحدي
الطين في «بنا» كما قيل لي
وفي الضواحي يا عجيزي ابتهج
والبيت ملك قيم
مهندم منور
بأيسر البياض والت
ما قيمة البيت يا عجيزي
قد قيل لي هي ألف
والفرش شيء حسن
لا بد من تنجيده
الكنبات خشب
ماتوا بحسرة مالك
لما ظفرت بذلك
من أجود الأطيان في الناحية
ما قيمة الفدان في الضاحية؟
وإن مشى فيه القدم
من رأسه إلى القدم
رميم يحيا من عدم
وما يساوي إن بيع يوما؟
وقيل ألف ونصف
الفرش لا بأس به
لا بد لي من قلبه
زان وسنديان

قِيِّمَةٌ يَبْدُو عَلَيَّ صَانِعِهَا الْإِتْقَانُ
وهذه سَجَادَةٌ نَادِرَةٌ ذَاتُ ثَمَنٍ
وهذه أُخْرَى عَلَيَّ هَا قَدْ تَقَادَمَ الزَّمَنُ
وصيغَةُ العَجُوزِ والحَلِيِّ أَيْنَ تُرَى مَوْضِعُهَا الخَفِيِّ؟
أَسْأَلُ «رِضْوَانَ» فَمَا لِي غَيْرُهُ مِنْ مُرْشِدٍ

(ينادي)

رضوان

رضوان:

... من ذاك ينا ديني؟ أنت سيدي؟

العجيزي:

رضوان أنت صادقُ تعالَ «رضوان» اصعد؟

(يحضر)

رضوانُ قل يا وُلدي أَيْنَ مَكَانَ الصِّيغَةِ؟
في أي مَوْضِعٍ تُرَى جِوَاهِرَ المِيْتَةِ؟

رضوان:

«مصاغها» يا سيدي ليس هنا

العجيزي:

أَيْنَ إِذْنُ؟

رضوان:

في منزل الباشا «صَفَرُ»

قد ذهب الأغا به في عُلْبَة

العجيزي:

... منذ متى؟

رضوان:

من نحو شهرٍ قد غِبْرُ

العجيزي:

في المرضِ الأخير؟

رضوان:

في أولِّه

العجيزي:

... وأين كنت؟ ...

رضوان:

كنت في بعضِ السفرِ

العجيزي:

أمانةً ثم تُردُّ ...

رضوان:

... .. سيّدي أعلم منّي بالدخائل الأحرز

العجيزي:

وكنت أنت حاضراً؟

رضوان:

... .. أجل حضرت يومَ ذاك، وخدمتُ من حَضَرَ

(صوت من الطبقة السفلى):

يا صاحبَ المنزلِ ...

العجيزي:

... .. مَنْ؟

الصوت:

... .. ثلاثَةٌ محمدٌ وعامرٌ وأحمدُ
جنّنا نراك ساعةً فقلّ لنا تنزلُ أم نحنُ إليك نصعدُ؟

العجيزي:

قد حللتُم بداركم اصعدوا عندي اصعدوا

(لرضوان)

الفصل الثالث

رِضْوَانٌ أَجْلَسَهُمْ هُنَا وَحَيْثُ هُمْ حَتَّى أَجِي
وَجِئْتُهُمْ بِقَهْوَةٍ مِنْ عَزَبَانَ «الْقَهْوَجِي»

(الثلاثة يصعدون.)

رضوان:

تَفَضَّلُوا يَا سَادَتِي الْآنَ يَأْتِي سَيِّدِي

(ويخرج)

محمد:

ثروة ضخمة

أحمد:

... .. وَخَيْرٌ كَثِيرٌ

محمد:

كُلُّ هَذَا إِلَى الْعَجِيزِيِّ آلَا أَصْبَحَ الْكَلْبُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمْشِي
يَنْفِضُ الْجَيْبَ أَكْثَرَ النَّاسِ مَا لَا سَدِيهِ فَمَاذَا مِنْ لَوْلُوْ وَزَبْرَجْدُ؟

أحمد:

«وَالْمِصَاغُ» «الْمِصَاغُ» بِالرُّوحِ أَفْ سَدِيهِ فَمَاذَا مِنْ لَوْلُوْ وَزَبْرَجْدُ؟

محمد:

وَهَلْ نَسِيْتَ يَا أَخِي خَاتَمَهَا الزُّمْرَدَا؟
فَهُمْ يَقُولُونَ يَسَاوِي مَائَةٌ وَأَزِيدَا!

أحمد:

قد ارتدى المغفلُ الحريراً

محمد:

واتخذ الشاهيَّ والكشميرًا

أحمد:

إذا مشى حسبته أميرا
وحذاؤه، رأيته؟ ...

محمد:

... .. لا، كيف، كيف حذاؤه؟

أحمد:

تسببك رفته وياً
والحزام الحزام، رقعة
وكم وكم من قيِّم
ذاك الحمارُ تحتُ مثْ
خذ ناظريك بهاؤهُ!
كشمير تمنيت أن أُكفَّنَ فيها
قد اقتنى بعد السَّعة
لُ الشمعة الملمَّعة

محمد:

لا يا أخي الحمار شي
قد اشتريته له
إن زاد شيء فاللجا
ء من شهور أربعة
وكنْتُ في السوق معه
مُ أو يكون «البردعة»

أحمد:

الطين يا عامرُ الطين عجبُ!
الطين أبعاديّة من الذهب
والبيت يا سيدي محمدُ البيت فخم البنا مشيدُ

محمد:

كم يا ترى الأرض والمباني؟

أحمد:

ألف ذراع وقيل أزيد!

محمد:

عامر لم سكتَ لم وما ابتلاك باليكم؟

عامر:

صه في غدٍ أستأجرُ الطيبَ _____ نَ

محمد:

... وكيفَ ويكم؟

عامر:

ذاك فنّي

أحمد:

... مذ كان يُستأجرُ الطين

عامر:

أجل تلك صنعتي يا عزيزي
في غد تكتب الشروط وأمضي
نحو «بناها» أحتلُّ طينَ «العجيزي»

محمد:

ما كالعجيزي رجلٌ
إن «هدى» دجاجةٌ
يُدري اغتنامَ الفرصِ
باضت له في القفصِ

أحمد:

وقد رأيتَ كيف كان دفنُها
قد دُفنت مثل فقيراتِ النَّسا

عامر:

لا يا أخي ظلمته إن الذي
جاء من الباشا ومن زوجته
قام على المأتم والدفن الأغا
أخرجها «خرجة» عز وغنى

(يدخل العجيزي فيقول):

العجيزي:

يا مرحبًا بالأحباب
كذا أنسى، كذا أُجفى
يا مرحبًا بالصحاب
كذا عنِّي لا يُسأل؟

محمد:

بنا شوق ولكنَّا نرى المشغول لا يُشغَلُ

أحمد:

يا عجيزيُّ عزاءً
أنت قد أحسنتَ والله
مثل ما قد دُفِنْتَ
مَرَّةً أُخْرَى عزاءً
وأظهرتَ الوفاءَ
ما دَفَنَ القومُ النِّساءَ

أحمد:

وما الذي أنفقتَ؟

العجيزي:

خَمْنٌ، قُلْ على التوهم؟

محمد:

أُمَائَةٌ؟

العجيزي:

... في الدفن ثم مثلها في المأتم

(زائر ينادي من تحت):

يا صاحبَ البيت!

العجيزي (لنفسه):

قد صار لي بيتُ!

الزائر:

يبقى لنا الحيُّ ويرحمُ الميتُ

العجيزي (لنفسه):

يرحمك الله هدى خيرك هذا عمّني

الزائر:

تهانئي يا عجيزيُّ لقد ورثتَ جليلاً
تهانئي يا صديقي قد نلتَ خيراً جزيلاً

العجيزي:

مَنْ

الزائر:

... «مصطفى النشاشقي»

العجيزي:

... أجبّنتني بعُلبّتي؟

الزائر:

أجل

العجيزي:

... تعالِ اصْعُدْ بِهَا اصْعُدْ، معي أَحْبَّتِي

الزائر:

معي الفقيهُ الحلبي

العجيزي:

يا مَرَحَبًا بِهِ، اصْعَدَا

(للحاضرين)

ل دينه عَلَى هُدَى ذاك فقيهٌ من سببي
أُتَعَرَفُونَ الشَيْخَ؟ ...

أحمد:

... قل عامرٌ

عامر:

سَلْ مُحَمَّدَا

محمد:

في «الزَيْنَبِيَّ» قد سمعنا نَاهُ يَرْجُ الْمَسْجِدَا
ذَاكَ الْفَقِيهَ لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ لَكِنَّهُ عِنْدِي مُزَوَّرُ الْبَلَدِ
كم حلٌّ بِالْفَتَوَى وَبِالْفَتَوَى عَقْدُ

أحمد:

يا حلبي أنت حبل المشنقة كم لك في الحارات من معلقه!
لم يخل بيت لك من مطلقه

(يدخل النشاشقي والشيخ).

العجيزي:

هذا هو الشيخ أتى يا مرحباً يا مرحباً
استقبلوه وقفوا بين يديه أدبا

(لرضوان)

البنُّ يا رضوان ...

الشيخ الحلبي:

... لا ... شياً من الكراوية

العجيزي:

انهب جي الشيخ بها عاطرةً وصافيه

النشاشقي (همساً في أذن العجيزي، ويناوله العلبة):

هذا النشوق من نشوق المفتي يليق للوارث زوج الست

آخر (ينادي من تحت):

صاحب البيت! ...

العجيزي:

... .. سيدي

الزائر:

... .. عم صباحا أنا عبد اللطيف شيخ الحاره

العجيزي:

مرحباً مرحباً تعال تفضل

(للحاضرين)

رجل لا يرى ثياب الجاره

الشيخ (عند وصوله):

ولكن أنا ما قدرتي؟ وهذا مجلس عال

العجيزي (همساً):

تعال، ما يقولون؟

الشيخ:

صنوف القيل والقال
يهنؤنك بالمال يعزؤنك بالميت

(وهو ينظر إلى جوانب البيت..)

تعالى الله ما أبهى! تعالى الله ما أوسع!
مكان الأُنس والبسَطِ وبيئُ النسوةِ الأربَعِ
يرحمُها الله لقد كانت ملاكًا محسنًا
ولم تقابلُ رجلًا في بيتها إلا أنا
فكم طعمتُ وشرب ت وكُسيْتُ ها هنا!
البيت لما اشترته كان أبى شيخَ حاره
ولم تزل كلَّ عام تُجيل فيه العماره

العجيزي:

وَأَنْتَ؟

الشيخ:

... كنت ابن خميس فلستُ أذكرُ شيئًا
إلا ليالي عُرْسٍ لعبتُ فيها صبيًا
لم يدخل البيتَ زوجٌ وفارقَ البيتَ حيًا

العجيزي:

إذن فعمرُ البيت ستون سنَه

الشيخ:

ومن يقولُ مائة ما غبنه
فهم يقولون «الفرنسي»^١ سكنَه

^١ المراد بالفرنسي نابليون.

العجيزي:

إذن فلَقَّبوه بالعتيق

أحد الحاضرين:

والأرض والموقع يا صديقي؟

آخر:

البيت كله على الطريق

الشيخ:

بل منزلٌ مباركٌ
يسكنه في عافيهِ
من جلالِ الناحيةِ
والبتولِ الزاكيةِ^٢
إنك جارٌ «الحنفي»
لا تنسَ مَنْ جارُك
فأنتَ بينَ الحنفيِّ^٢
يكفيه ما حلَّ عليه

الحاضرون:

وكلنا خادمه
وكلُّنا في الكنفِ

آخر (يزعق من السلم ويقول):

يا عجيزي يا صديقي

^٢ السلطان الحنفي رضي الله عنه.

^٣ السيدة زينب رضي الله عنها.

العجيزي (في اضطراب لنفسه):

رَبِّمَا خَلَطَ حَتَّى
ذَاكَ دَاوُدَ الْمَغْنِيِّ
أَضْحَكَ الْمَجْلِسَ مِنِّي

داود (من تحت):

أَيُّهَا الْوَارِثُ قَلِّ لِي
أَعَزِّي أَمْ أَهْنِي؟

العجيزي (للحاضرين):

ذَاكَ دَاوُدَ الْمَغْنِيِّ
قَدْ أَتَى يَسْأَلُ عَنِّي

داود:

لَقَدْ أَتَيْتُ وَمَعِيَ حَمِيدُهُ
لَكِي أَرِيهَا دَارَكَ الْجَدِيدَهُ

العجيزي (لنفسه):

الْوَيْلُ لِي الْوَيْلُ لِي
كَيْفَ أُوَارِي خَجَلِي؟!
حَمِيدُهُ فِي مَنْزِلِي

(للحاضرين)

أَتَسْمَعُونَ؟ مَعَهُ زَوْجَتُهُ

أحد الحاضرين:

وما لداود وللتفرنج

آخر:

أصعده، دعه يا عجيزي يجي

العجيزي:

لا ومقام «الحنفي» لن يجي

آخر:

قابله لا تضح عليه سعيه ليس على أمثاله من حرج

العجيزي:

لا، لن يطا لي عتبه سوف أريه أدبه

(وينزل فيصرف «داود» ويعود.)

زائر آخر (يصيح من تحت):

سيدي، سيدي، أنت هنا؟

العجيزي:

من؟

الزائر:

أنا سلمان يا عجيزي أصعد؟

العجيزي (لنفسه):

ذاك سلمان جاء يطلب بالدي - من وقد جن أمس حتى تهدد

أحد الحاضرين:

سلمانُ مَنْ؟

مصطفى:

... .. تجهله؟
ذاك مُرابي الناحيه
استرجعَ الخمسينَ مني
بعد شهرينَ مِنه

محمد:

مُسلمٌ؟

مصطفى:

... وابنُ مسلمٍ وله جدُّ
لن يدعَ لليهودِ في «الخط» رزقاً
يا يهودَ الأرضِ قد
من بني الإسلامِ سلمان
بقلب الصعيد شيخ ولي
ليس في «الخط» غيره رَبَّوي
أصبحَ يشقى العالمون
ومنكم «سالمون»

محمد (همساً):

وما له والعجيزي؟ وما الذي جاء يصنعُ؟

أحمد:

أليست الزوجُ ماتتُ فالوارث اليوم يدفع

العجيزي:

سلمانُ يا إخوانُ لمْ يأتِ لدين أو سندُ

عامر:

وما يضر الدَّينُ لم يخلُ من الدَّينِ أحدُ

العجيزي:

لا، بل علاقتي به علاقةٌ من البلدِ
أباؤه كانوا وآبائي شيوخاً وعمدُ

محمد:

نادِ إذنْ يصعدُ فلا بأس في مجيئه

العجيزي:

سلمانُ سلمانُ
تعالَ سلمانُ فماها هنا إلا أحياءُ وإخوانُ

(يدخل سلمان ويقول للعجيزي).

سلمان:

قيل لي عنك مطلقُ البطنِ شاكٍ كيف يا سيدي العجيزيُّ حالُك؟

العجيزي:

أحمدُ الله قد تعافيتُ فاجلس

(همساً)

لا تحفُ، في غدٍ يوافقك مالكُ

سلمان:

أمامك شهران حتى تفيقَ
وتدفعَ خمسين فوقَ الحساب
دواتي عليّ وفيها اليراعُ
فخذ فضحِ اسمك ...
وتهدأ فلمْ لا تمدُّ الأجلُ؟!
إذا الإرثُ من كل وجه كَمَلْ
وأنتَ بخير وهذا السندُ

العجيزي:

... سرُّ في الرواق لا يَطْلُعَنَّ علينا أحد

(ينصرفان)

محمد:

قد دخلا في الرواق سرًّا
وبين هذا وذا حسابُ
وفاز بالوارث المُرَابي
ويعلم الله بالحسابِ

(يعودان)

سلمان (همسًا لمصطفى):

يا مصطفى يا نشوقي

مصطفى:

لبيك سلمانُ أهلا

سلمان:

لي كلمة فادنُ مني لا تنسَ دينك حَلَا

العجيزي:

ماذا يقول المرابي؟ وما أسرَّ إليكا؟

مصطفى:

يريد مني نَشوقًا مما رأى في يديكا

الحلبي:

الحق أنه نَشوقٌ طيبٌ

مصطفى:

الباشوات كلهم قد أقبلوا
وسيدات «الخط» من حين إلى
وفيه يا فقيه عرق العنبر
عليه والمفتي وشيخ الأزهر
آخر يبعثن الأغا فيشتري

عامر (في سخرية):

السيدات؟ أأنثى على النشوق تطوف؟

مصطفى:

لم لا؟ أما هُنَّ خلق؟ أما لهنَّ أنوف؟
لا تنس يا عامر! ...

عامر:

... ماذا مصطفى؟

مصطفى:

أُمُّكَ كَانَتْ مِنْ غَرَامِهَا بِهِ لَا تَنْسَ يَا أَخِي يَا أَعَزَّ النَّاسِ
تَأْخُذُهُ مِنْنِي بِالْأَكْيَاسِ

عامر:

أُمِّي أَنَا يَا رَجُلًا لَا يَسْتَحِي نَشَاشِقِي يُذَكِّرُ الْمَخْذِرَةَ
(يَتَنَاوَلُ كُلُّ مَنْ مِصْطَفَى وَعَامِرُ عِصَاهُ.)

مصطفى:

وَأَيُّ عَارٍ بِالنَّشُوقِ إِنَّمَا الْعَارُ كُلُّ الْعَارِ شَغْلُ السَّمْسِرَةِ

شيخ الحارة:

خَذُوا الْعِصَا مِنْ «عَامِرٍ» وَ«مِصْطَفَى» إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ «مَجْزَرَهُ»

عامر:

دَعُوهُ لِي لَا بَدَّ مِنْ تَحْطِيمِهِ

مصطفى:

خُلُوهُ لِي لَا بَدَّ أَنْ أَكْسِرَهُ

العجيزي:

وَحَرْمَةُ الْمَيْتَةِ تَنْسِيَانَهَا وَحَقُّ بَيْتِي لَا تَرَاغِبَانِي
غَدًا يُقَالُ عَنْكُمْ قَدْ سَخِرَا مِنْ الْعَجِيزِيِّ وَمِنْ ضَيْفَانِي

مصطفى:

تلك العصا طرحتها يا سيدي حُبًّا بِكَ

عامر:

وأنا أيضًا قد رميت بالعصا لأجلِكَ

(صوت من الخارج.)

دستوركم يا أهلَ هذا المنزل

العجيزي:

... .. مَنْ؟

الصوت:

الأغا

العجيزي:

... أَلَمَازُ أَغَا؟ تَفَضَّلِ

الأغا (يدخل باكيًا مولولًا ويقول):

أَهْ عَلَى صَدِيقَتِي
قَدْ خُرِبَ الْبَيْتُ فَلِيَدِ
أَيْنَ جَبِينُ كَانَ كَالِ
وَأَيْنَ «أَهْلًا» كَلَّمَا
أَهْ عَلَيْكَ يَا «هَدَى»
تَتَّ لَكَ عَيْنًا فَتَرَى!
بَدْرٍ سَنَاءً وَسَنَاءً؟
جِئْتُ وَأَيْنَ «مَرَحَبًا»؟

وأين ما قد كان لي عندك من طيب اللُّقا؟
وأين صوتُ كان كالسدِّ حرِّ ينادي يا أغا!

العجيزي:

ماذا دهاك سيدي هون عليك يا أغا!

الأغا (مستمراً):

قد ذهب البيتُ لبيدٍ ست الله وحده البقا
قد ذهب المال فسب حان الذي له الغنى!

العجيزي:

أفق تجلِّد يا أخي ليس البكا من التقى

الأغا:

أبكيك يا هدى وإن لم يرجع الميت البكا

(ويقع مغمى عليه.)

مصطفى (للأغا):

جرِّبْ نَشوقي مرَّةً خذ تجد الحزنَ هذا

العجيزي:

رُشوهُ بالماء يُفق

(لرضوان)

رُضْوَانُ هَاتِ كَوْزَ مَا

الأغا (يرفع رأسه قليلاً ويقول):

وَلَيْكَ عَذْبًا بَارِدًا
لَيْتِكَ مَا مَتَّ وَلِيَدِ
هُدَى تَعَالَى انظِرِي
إِنِّي أَحْسُ بِالظَّمَا
تَ الْمَيْتِ يَا هُدَى أَنَا!
الْبَيْتُ مِنْكَ قَدْ خَلَا

(للعجيزي)

سيدي أضغ لي:

هدى رحمة الله
يا أسفًا على هدى
ما لي يخونني فمي؟
على روحها وألف سلام
يا أسفًا يا أسفًا!
ما لي تخونني القوى؟

(ويتمايل الأغا ثم يسقط.)

محمد:

لقد رجعنا فوقنا
في البلاء والعنا

العجيزي (للأغا):

قم يا أخي أنهض قل
ما نحن في ماتمها
وكل حيٍّ ميتٌ
تكلم هاتِ بين يا أغا
مأتمها قد انقضى
يوماً وإن طال المدى

الأغا:

تركت عندنا وصاة ...

العجيزي:

... .. وماذا؟

الأغا:

كَتَبْتُهَا قَبْلَ الزَّوْجِ بِعَامٍ
رَ عَلَيْهَا وَقَاضِيَ الإِسْلَامِ
أَمْسُكُونِي لَأَقْعُ
قَد تَرَكْتُ يَرْحَمُهَا اللّٰهُ
كَتَبْتُهَا وَأَشْهَدُ مُفْتِي القَطْرِ
قَد تَرَكْتُ يَرْحَمُهَا اللّٰهُ

(ويتمايل كالنشوان.)

العجيزي:

قم خلفه يا مصطفى!

مصطفى:

دَعُهُ لِسَاعِدَيَّ دَعُ

الأغا:

قَد تَرَكْتُ فِي عُلْبَةٍ
مِن جَوْهَرٍ مُّبْرَأٍ
«مَصَاغَهَا» عَشْرَ قَطْعٍ
مِن الخُدُوشِ والبَقَعِ

العجيزي:

لمن؟

الأغا:

... لعشرة من نساء الحارة
من كل جارية وبنيت جارة

العجيزي:

وَعَيْنَهُنَّ؟

الأعنا:

... أَجَلْ، وَبَيَّتْ

العجيزي:

يا لِي، يا لِلْغَيْنِ وَالْحَسَارَةِ!
جواهرِي يا ندمًا

يا أَسْفَ الدُّهْرِ على

مصطفى:

... ما لك يا أخي؟

العجيزي:

أَنْ ظَهَرِي انْقَسَمَا
أُخْرِجْتَ مِنْ جَهَنَّمَا!

... .. أَحْسُ
عَوْقِبْتَ يا هَدَى ولا

(يغمى عليه.)

محمد:

أرى به إغماء

لا بأس لا بأس إني

شيخ الحارة:

رضوان طرُ جئ بكَوِزِ

الحلبي:

صُبُّوا عليه الماءَ

العجيزي (وهو يفيق):

والبيت يا أغا أجبُ البيت ما أصابه؟

الأغا:

وقفته لبنت أول زوج

الحلبي:

إن هذا قضاءٌ حقٌّ قديم

العجيزي:

أترى البُعْيَ والتعسُّفَ حقًّا
قلِّبْتُني هدى على النار حيا
يا كثير التحليل والتحريم
قلِّب الله جسمها في الجحيم!

(للأغا)

وأثأث البيت هدا؟

الأغا:

أصبح البيت وما
جاء أيضا في الوصيَّة
في البيت ملكا لبهية

العجيزي:

ارم يا دهرُ بالمصائبِ إرمِ ظلمتني هدى فما كان جُرمي؟

شيخ الحارة:

بقي الطين فانتظرُ رحمة الله ولا يَدْخَلَنَّك اليأسُ منه
إنها خَلَّفَتْ ثلاثين فداناً ببِنها وأنت تعرف بِنُها

الأعما:

لا، لا تصدق سيدي فما درى، ما عَرَفَا

العجيزي:

ماذا جرى إذن؟ أَيْنُ

الأعما:

الطينُ أيضاً أَوْقَفَا؟

العجيزي:

لمن؟

الأعما:

... لبيت الله والرو ضة قبر المصطفى

العجيزي:

يا ربِّ بيتك عَنِّي وعن نصيبي غنِّي

الست هدى

وقل لقبرك يُرجعُ لي ثروتِي يا نبِيُّ
الطينُ أيضًا قد مضى وكل شيءٍ انقضَى
يا لأعاجيب القضاء!

الحلبي:

اصبر أخي، تعرّ، ما هذا الجزع؟! هب أن ذلك الزواج ما وقع
ليس الحياةُ غيرِ رِيٍّ وشبَعُ

العجيزي (وهو يهجم عليه):

هب أن رأسك انفلقُ هب أن مخك اندلقُ
حتى جرى على الزلق

سلمان:

الطينُ أيضًا قد مضى يا ويح لي، وَيَحُ ليه!
ضاع عليّ تعبِي وضاعتِ الخُمُسمِيه!
هذا العجيزيُّ مزيبٌ حج من غباءٍ ونكدُ
قد جاء مصر هاربًا من الديون في البلدُ
وما له من عملٍ فيها ولا له أحدُ
لكن عليه سند

النشاشقي:

اذهب، كُِّل، اشربِ السندُ

الجميع:

اذهب، كُِّل، اشربِ السَّنْدُ!

(ستار الختام)